أمواج فى بحر الحروف

شعر

فوزى خضر

أمواج في بحر الحروف

أقلام مصرية



اسم المؤلف : فوزي خضر
عنوان الكتاب : أمواج في بحر الحروف
لوحة الغلاف : تمثال "نحو الحبيب" للفنان مختار

الناشر : دار زويل للنشر
اتحاد كتاب مصر
الطبعة الأولى : ١٩٩٩
رقم الإيداع : ١٠١٠٤ / ٩٩
الترقيم الدولي : X-١٥-٥٠٩٠-٩٧٧

اتحاد كتاب مصر
١١ ا ش حسن صبري - الزمالك
ت : ٣٤١٦٥٥٠ - ٣٤١٩٨٦٨

دار زويل للنشر
٧ ش البستان - ميدان التحرير
ت : ٥٧٩٦٠٦٠ - ٥٧٩٨٠٩٨
E.Mail: Zaweell@hotmial.com

الإهداء

إلى نجوى..

حلمًا دائمًا أبدًا



البحرُ رياحٌ . . أنواء

موجٌ عالٍ كجبالِ الأرضْ

مَدٌّ . . جَزْرٌ

جَزْرٌ . . مَدّ

كان بإمكانى أن أعبر هذا البحر . .

لو لم يُسرق فى الليل سفينى .

الدكاكين كانت تهب مبكرة فى الزمان القديم

فى الزمان الجديد..

النساء يقمن مع الظهر،

يغسلن أوجههن

ويعددن شايًا لإفطارهن

ويقرأن ماكتبته الصحف

والرجال صفوفًا صفوفًا بباب المخابز

أو كتلةً من عجين على موقف الحافلات

يظلون ينتظرون

وحين يحين المساء:

تحين حبوب المهدئ واللعنات.

فى الزمان القديم: العيون موجهة للسماء

فى الزمان الجديد: العيون تنقب فى الأرض..

عن عُملةٍ سقطت منذ عام.

الفلاحون أمام التلفاز . .

سهروا منبهرين .

فى الفجر استيقظ حقل،

قامت ماشية

لكن الفلاحين . .

كانوا فى النوم يغطون .

(بمدينتنا يتساءل أهل الحىِّ :

لماذا لم يعد المخبز . .

يمنحنا الخبز؟!)

هززتُ النخيل..

تساقط منه البلح

تشجع قلبي،

هززت الجبل..

فألقى الصخور عليَّ.

انفقتُ نجومی . .

لأنال الشمس .

كيف أسير الآن . .

والشمس أبت أن تأتينى ؟!

لا خبزَ بدون المنجل

يقطع سيقان القمح.

ساعةً: حزننا ينتهي

سيجئ غد لا يخون

فتكونين ماتشتهين

تكونين ما أشتهي.

منذ زمانٍ..

وأنا منغرسُ الرأس

أرتِّق أيامي يومًا.. يومًا

لكنّ اليوم:

انفتقتْ عشر سنين.

الصفصاف.. اصفرّ

عند ضفاف النهر

مال شديدَ الإجهاد.

- لا تحزن

لو تتجمل بالصبر

شهرين فقط

سيعود الأخضر عبر فروعك،

فى النسمة يضحك ويرفرف مثل الطير

ويميل..

ليلعب فى ماء النهر

لو.. تتجمل بالصبر.

كانت عيناى الصقران

تريان . .

ماليس يُرَى

حتى اخترتك أنت

منذ اخترتك . .

لا أدرى من أغمض لى عينىّ .

كانت أحلامى..

تمحو كل الأحزان

فلماذا الآن..

أحزانى تخنق كل الأحلام؟!

خطوتى . .

قد تمنيتها خطوتين

لأطوى هذا الطريق

حينما كدت أدخل فى نشوتى

بالوصول لآخره . .

وجدت الطريق طريقين !!

مضتْ سنواتٌ طوال

الصغار هنا كبروا

الكبار هناك مضوا

ولازلت أقبع فى ركن بيتى

أحملق فى كفَّىَ الخاوية !! .

لم أتقاعس . .

ودفعت بأقدامى ، وشددت يدى ؛

ففتحتُ البابَ الأول

ثم فتحتُ البابَ الثانى . .

فالثالث . .

فالخمسين .

حين فتحت الباب الخمسين :

وجدت الباب الأول مفتوحًا .

كان جهادى عبر رواقٍ دائرة

وأنا لا أدرى !!

العصافير حطت على غصنها

العصافير طارت

المويجات جاءت إلى شطها

المويجات راحت.

بكى حَجَرٌ .. وتمنّى

ولكنه.. ما استطاع حراكا.

دعنى وحدى

حقًا أتمنى أن أخرج من بيتى

لكنى بالأمس وعدت المقْعَدَ..

أن أُسمعه الليلةَ أقصوصة

وأنا... لا أخلف وعدى.

الفِراش الوثير شديد البرودة

أبغى الخروج إلى شاطئ البحر،

أبغى اختراق الرياح..

وأبغى مصافحة المطر الموسمى بصدرى

فقلبى..

تجمد فوق الفِراش الوثير.

أوراقى تسخر منى

حين فضضتُ بكارتها..

وظننت بأنى أكسب مالم يكسب أحد

كانت قد سرقتْ منى أيامى.

لن أجلس فى بيتى

فأنا عصفور غرّيد

ومكانى بين الأغصان

وأنا موج رحّال

ومكانى بين الأنواء.

لن أجلس فى بيتى

فأنا . .

فى قلبى قوة نَصْلٍ

ومُضِيٌّ شهاب.

– آهِ . .

أغلق هذا الشبّاك

فالريح شديدة . .

خارج هذا البيت.

كان القلب شبابًا

والوجه بشوشًا

كان العمر تحفّ به أجيال الآمال

كان الخطو عنيدًا

والدرب أسيرًا

والأحلام الوضّاءة تختال.

كيف غدوت حبيسًا بين الجدران

لا أملك إلا لفظة :

كان ؟!

كنت أرتِّقُ يومىَ كلَّ صباحٍ بالأحلام

لكنْ . . كلَّ مساء :

تَفْتقُه الأحزان !!

- كل الذى تبغيه موجودُ

فاخرج إلى الزمن الوضئْ

- (من أين أخرج ياصديقْ . .

والباب مسدودُ ؟!)

لم أجد غير سيجارتى

ثرثرت فى المساء الطويل

فالصغار نيام

والكبار نيام

والسكون رفيق العليل.

- أضيئى . .

فإنا انتظرناك ليلاً طويلاً

أضيئى . .

فإنا سئمنا الظلام المعاند .

- ماذا تقول؟؟

أنا قد نسيت جفونى مغلقةً . .

منذ عام !!

لا تدفع كفِّى

محتقرًا هذى الشمعة.

مادامت شمسك مطفأةً دومًا..

فالشمعة شمس.

للبحر لسانٌ . .

يخرجه للماشين على الشط .

للشط لسانٌ

يخرجه للغرقى فى البحر .

فى الماضى ..

كنت أقلِّب أيامى

فأرى أفضلها : ما سوف يجئ.

والآن أغربل كل سنينى

أوقن:

أفضلها ما فات.

الليالى الصَّحرَاء

رفقتْ بى

عصرتْ لى من جَنى صبّارها

ملأتْ بالرمل والصهد سلالى

لم تكن تحوى يداها غير هذا.

والنهارات النماء..

غاضباتٍ: دفعتْ بى لليالى..

ما الفائدة ؟

ترى عيونى هذه الآفاق متسعةً . .

لكنّ صدرى ضيّقٌ .

حين سقطت صباحًا

مابين الفكّين

لم ترحمنى الأضراس.

اشتهيت النجوم..

صعدتُ الجبال جميعًا

لعلىَ أدرك أىَّ سماء

وعدتُ..

فلم ألقَ فى قبضتى..

غير هذا الحصى.

أتعبنى فى العمر يمينٌ . . وشمال

الدربُ رصيفان: يمينٌ . . وشمال

ومنازلُ صفّان: يمينٌ . . وشمال

عيناىْ

أذناى . . يداىْ

قدماى . . . يمينٌ . . وشمال

حتى أنت . .

جلست يمينى حينًا . . وشمالى حينًا

وأنا أبغيك أمامى

يكفينى أن الأشياء جميعًا . .

تحصرنى . .

مابين يمين . . وشمال

الحصى..

يتفاخر بالجبل الشاهقِ

قطرة الماء تفخر بالبحر

نسمة صيف تفاخر بالعاصفة

والتفاخر قيَّدنا بالسفوح

تعالوا بنا نرتقي...

نرتقي.

من أين بدأنا هذا الدرب ؟

كيف ركضنا عميانًا فيه

سنواتٍ تعقبها سنوات

حتى أسقطنا فى هذى البئر ؟!

أيها البحر . .

موجك ليس يخيف فؤادى

فشمسىَ قد أحرقتك،

تبخرتَ، صرتَ غيومًا،

هطلتَ إلى الأرض نهرًا،

سعيتَ إلىَّ . .

خُلاصتُكَ الآن فى قبضتى كوبُ ماء

سأشربه إن أردتُ

وأسكبه إن أردتُ

فلا تطلق الموج يهدر،

يزهو بقوّته ويدمدم

موجك:

ليس يخيف فؤادى .

سنواتى حاصرتنى بالجهامة

ساعدينى . .

علّنى أصعد للقمة يومًا

ليس يحتاج عنادى منك إلا . .

لابتسامة

السماء اشتهت زهرةً فى الرياض

والرياض اشتهت نجمةً فى السماء

وأنا أشتهيكِ . .

ومازلتُ أجهلُ من تشتهين !

تعجلتِ إغلاقَ بابك

ألم تعلمى أننى . .

لم أزل فى الطريق إليكِ ؟!

أردتُ العمر بستانًا ربيعيا

زرعتُ الورد والأشجار

نثرتُ الحَبَّ والأطيار

لماذا لم أجد إلا . .

رياح الليل والأحجار ؟!

ولما بعتُ مروحتى

وصارعتُ الرياح الهوج

حتى نلت مدفأتى:

غزانى الصيف.

أتعاير غصنى بالعُرْىِ ؟!

شريفًا : ألقيتُ الأوراق الصفراء

أما أنت . . . . . .

اخرج يافجر

إنى أرتقبك.

صبرى منذ الأمس

لايعنى اليأس.

تسخر من حَجَرى هذا ؟!

أوَلم تعلم أنى منذ سنين..

أبنى قصرى حَجَرًا .. حَجَرًا ؟!

هذا قصرى..

فانظر للأعلى... للأعلى.

مجدى . . . بحرى .

لو أخلع عن جسدى بحرى . .

لا يتبقى منى . .

غير رمالٍ . . . وقواقع . . .

فدعى لى موجى دمدمةً . .

وصهيلا .

الحصى ليس يحمل إلا ضمير الجبال

قطرة الماء تحمل أيضًا ضمير البحار

فلا تحبسى دمعتك . .

ففيها أرى مايدمدم بين الضلوع

هذى المدائن عبر ترحالى محطاتٌ

منها محطاتُ الرحيل

منها محطاتُ الوصول

ولكى نصلْ :

هيا إلى الإسكندرية نرتحلْ

لاتبتئسى

حين ترين خواءً فى كفىً الآن

فأنا فى الحقل زرعت بذورى . .

فانتظرى .

غرفتك اختنقتْ

ليس أمامك إلا أن تفتح نافذتك

فافتح نافذتك . .

افتح نافذتك

فى الخارج مالاتتصور من نسمات

فى الخارج مالاتتوقع . .

من أضواء .

تجيئين ماءً

تجيئين حين تنادي صحاراي . . غيثًا

وحين تنادي حقوليَ : نهرًا

وحين تنادي شفاهيَ : كوبًا

تجيئين حتى . .

إذا ماتنادي عيوني .

قمرٌ يتسلل،

يتخفّى خلف السحبِ

لاتكتئبي.

وتعالى نوقد قنديل الدار.

قُومِي..

أذني تبغيك حديثًا

شفتي إنصاتًا

عيني تبغيك أمامي

قومي..

كوني دنيا لي..

لتظلي دنياي.

لم يحزن هذا العش

يعلم أن العصفور الطائر . .

فى كل الأجواء . .

سيعود .

هنا القاهرة

إلى اسكندريةَ يسعى المصيفُ

تعافر دمياط، تبكى قنا

ولكنْ تظل:

هنا القاهرة.

كسروا عَظْم جناحى

أعذرينى..

ليس بالإمكان أن أنسى جراحى.

نورٌ مصدورٌ يشهق فى عينىّ

وأنا جئت إليكم..

أحمل فى كفّى شفتىّ

فاعطونى حقى..

فى أن أتكلم دون شفاه

أعطونى حقى... كى أبكى.

لو أنك أيقنتِ

أني لك وحدك . . أنتِ . .

كنتِ . . غفرتِ.

متى تَرجع

وتُرجع رنة الأنغام فى أجواء وادينا

وتُرجع همسةً بالحلم تدعونا ؟

متى تسمع

أنينًا يسكن المضجع

وآهاتٍ كَسَتْ جدران حجرتنا . .

نحيبًا سال فوق الأرض والمقعد؟!

وعدتك أنى سأبنى

وها أنذا قد بنيتُ

لماذا بعثتِ صواعقكِ الغضبيةَ . .

تهدم كل بنائى ؟!.

كانت الشمس ضياءً

وأنا فى الدار أحكى. .

عن دروبٍ ذهبيّة

إنما. . .

حينما أطلقتُ ركضى فى الصحارى. .

كانت الشمس:

شظيّة.

وحين وجدت النخيلَ بكى بلحا

والغيومَ بكت مطرا

والجبالَ حصًى . . .

تركتُ دموعى تهمى .

أجرّ في كل حشدٍ دموعي
وأحمل في قبضتيَّ الحصى
شربتُ الثرى، وأكلتُ الحريقَ
وكنتُ الفريقَ المخالف.
أنا في بلاد الزواحف
ولكنني من بلاد العصافير
أعلم كيف أطير
وكيف يكون الجناح أغاريد عشق
وأعلم كيف أقبّل خد الصباح
وكيف أغني..
ولكن رمى بجناحي زمان العواصف
فصار غنائي:
" أنا في بلاد الزواحف
أنا في بلاد الزواحف" .

اكتبْ فوق الماء

أو فوق رمال الشاطئ

أو فوق النسمة . . فوق الصخر.

لا فرق

مادمت :

لن تكتب فى القلب.

لم أخرج من باب الدار

إلا حين وجدت الدار:

نار.

برغم الصباح الذى شد أذْنى

ورغم المساء الذى صد عينى

سيأتى غدٌ يرتجينى.

سأكتبها لغةً لاتطال

فتنمو على صفحاتى

سواعد أشجارى المثمرات

وتسخو حقولى

فقولى لىَ الآن ماتبتغين

ففى صفحاتى تنبت كل المواسم..

...

فأين ذهبتِ ؟؟!

كنا نضرب بك أمثالاً

فلماذا الفُرقة دبّت بين بنيكَ . .

لماذا :

ما اتجهت كل زهورك للشمسْ . .

يا عبّادَ الشمس؟؟

أمضى عنك الآن

حين وجدتك . .

ألقيتِ بشمسى ونجومى . .

فى صندوق قمامة .

أردتك لى . . ياحبيبةُ . .

قُوتَ المقيم

وزادَ المسافر

ومرت سنون كواسر

وها أنذا لم أزل جائعاً

سحبتُ الوريد إلى آخره

فلم ألقَ قلبى

نظرتُ . .

وجدتكِ عبر الطريق

مقهقهة تركلينه .

مرة كنتِ لى . .

خاتمًا ضاق حول العُنُقْ

مرةً كنتِ لى . . .

كالأفق .

ليس يقنعنى أن أسير

وأجلس . . ألهو . . أثرثر . . أضحك

لا . .

ليس يقنعنى كل ذلك . .

مادمتُ داخل جدران سجنى .

تاريخي طاردني

فوقفتُ له بالسيف.

حين نظرتُ إلى يومي..

ألقيتُ بسيفي.. وسقطتُ..

لكن..

حين نظرتُ إلى وجه غدي:

قمتُ..

شَهَرْتُ السيف.

حين نام الديكُ . . قُمْنا

أعجيبٌ أنه . .

أذَّن الديكُ :

فنمنا؟؟!

ياحَلْقَةً ضاقت وليست تنفرج

لو يصدق الفجر الوليد

بالوعد فى اليوم الجديد:

لجلدتُ ظَهْرَكِ بالفرج..

جناحى يرفض الطيران

جناحى يبتغينى فى الفضا نسرًا

وليس بقدرتى هذا

أنا لستُ. . .

سوى عصفور.

الريح تعبث بالشجر

ترمى الورق

تنفى من الأرض الغبار

وتدور تعبث بالرمال

وتطيح بالريش الوَجِلْ

الريح . . .

يقهرها الجبل.

لن أغنى فوق غصنى

إنه غصن مزيف . .

طالما امتد حواليه القفص.

أنقذتُ عمركِ من غرق

فرميتِ عمرى فى محيطٍ من أنين

ومضيت ضاحكةً،

على رمل الشواطئ تمرحينَ . .

ففى هنا . .

حتى متى تمضين لاتتذكرين؟؟!

حتى متى تمضين لا تتذكرين؟؟! .

حين رأيت على نهرى

أضواء نجوم راقصة

أيقنت بأن سمائى صافية هذى الليلة.

أضعتِ العمر من كفيَّ

حين غزوتِ أيامى

وحين سلبتِ من قدميَّ أرضى

ثم أوغلتِ.

سألتكَ أن تعيدى لى زمانًا ضاع

وأرضًا فوقها اسمى...

فقهقهتِ.

كنتُ صغيراً . .

لم أفهم

أن النجمات الموجودة فى ماء النهر :

لم تتنازل عن موقعها . .

فى سقف سمائى .

تاريخي يجلد ظهري

يومي يغرس سيفًا في صدري

أهتف في اليوم:

متى سيجئ الغد

متى سيجئ الغد؟!.

تجيئنى فى كل عام

مرةً مبتسمًا .. ومرةً كئيبا

وهذه المرة جئتنى غريبا

لا طعم .. لا رائحة..

لا لون.. لا صوت .. ولا ملمس.

هل لأننى..

سقطتُ فى دوامةٍ من السنين

أم لأننى بلغتُ الأربعين؟؟

أكلما هممتُ بابتداء الانطلاق:

يصدمنى هذا الجدار؟!.

من بعد الأزرق..

مصفرًا صرتُ

أمواجى صارت كثبان

أترين الآن..

مقدار جنايتك علىّ؟؟!

حقًا يجمعنا بحر واحد

لكنى موج يصهل ظمآنَ..

وأنتِ..

صخور تتمنع

سرقوا خبزى

حقًا كان أمامى . .

لكنّ ذراعى . .

كانت أقصر من أن تمتد إليه .

كانت كل دروبي تترقبني

وأنا . . .

أقبع في داري .

فى عز النصر . . تقافزتُ أهلل

أبغى لو أحتضن العالم كله

كانت ضحكاتى تتلاقى فى أرجاء الدنيا

كنت أكاد أطير . . وفجأة:

يثقب صدرى سهم . .

لا أدرى من أين أتى .

لم أتعجب . . فأنا :

دومًا يحدث لى هذا .

النهر غبيٌّ ، لم يتوقف

فليجرع ملح البحر إذن . .

مادام تغافل عن تحذير الأمواج .

كلَّ عام يجئ

نريدك ياعيد منتصبًا

مثلما كنت عبر الزمان القديم فتيا

رافعًا جبهتكْ

تتلقى ضياء الصباح بهياً

ولكنْ:

كلَّ عام يجئ

تقصُر فيه عصاك،

التى تتوكأ منذ زمانٍ عليها.

قلتِ إنك تبغينني

وأنا كنتُ غرّاً . .

فصدقتُ ما قلتِه .

أضعتُ العمر ظمآناَ

لهيبًا راحلاً فى الثلج

أمسُّ الثلج : ليس يسيل

أحيط به: فيطفئنى !

أنا ماضٍ إلى الغابات . .

أنا ماضٍ إلى الغابات.

رغم الريح تطيح بأوراق الأشجار

رغم العش الضائع . . والغصن المكسور

عبر سمائى عصفور:

مازال يطير

مازال يغرد.

إذا قدّمتُ ماء القلب معطارًا.

سكبتِ الماء

إذا قدّمتُ حبّة قلبىَ الدُّرَّة:

إلى الماضى تَلَفَّتٌ

إذا سُقْتُ الحقول إليك،

تحوى كل مافى الكون من ثمرات:

تبرّمتِ

إذا اقتربت أنامل كفىَ الظمأى:

تأففتِ

لماذا تعجبين إذن.. وقد جئتُ

أخاصر فى صباح الحلم عاشقةً

تقبّل كفىَ اليمنى

تقبّل كفىَ اليسرى..

وتقصيكِ ؟!!.

أنا خارجٌ ببقاياى يومًا

أنا موقنٌ

أنا خارجٌ ببقاياى من عقدة الحبل

حتى إذا ما اضطررتُ

لأن أقسم الجسم نصفين

يومًا:

أنا خارجٌ . . خارجُ.

لماذا عبرتِ الطريق معى؟!

لأنك كنت تريدين ظِلاً ؟!!

قفى...

أنا لستُ ظِلاً.

مات الماء

لا ماء.

منذ اليوم:

لن تجدى غير تحاريقى

مادامت نارك لا ترحم.

كلما اندفعت فى الطريق خطاى:

يسد الطريق جبل.

ثلاثًا كانت الودعات فى الحفل الصباحىّ

ثلاثًا كانت الشمعات فى الحفل المسائىّ

طرقتُ الماءَ،

كان الموج صخّابًا . .

فلم تسمع رمال القاع .

زعقتُ . . فقهقه الموج العنيد .

بدأتُ قراءة القرآن ،

فانمحقتْ عوالم من جنون السِّحْرِ ،

وابتدأ الشفاءُ .

لا تحزن

أغصانك ما ماتت

لازالت تحت الإبْطِ براعم. .

تفقس رغم الريح.

من هنا..

سوف نبدأ دربًا جديدًا.

صدر للشاعر

١- ديوان أغنية لسيناء (مشترك) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥.

٢- ديوان الترحال فى زمن الغربة - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٤.

٣- ديوان من سيمفونية العشق - المركز القومى للفنون والآداب ١٩٨٥.

٤- ديوان فصل فى الجحيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥.

٥- دراسة: إطلالة على الشعر السعودى - نادى جازان - السعودية ١٩٨٥.

٦- ديوان ولهية إلى الإسكندرية - مديرية الثقافة بالإسكندرية ١٩٨٨.

٧- قصة للأطفال : عمر المختار - دار الشرق - دولة قطر ١٩٨٩.

٨- قصة للأطفال : عبد الرحمن الداخل - دار الشرق - دولة قطر ١٩٨٩.

٩- ديوان النيل يعبر المواسم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١.

١٠- ديوان قطرات من شلال النار - الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٣.

١١- قصة للأطفال: الصوت الغريب - دار المعارف ١٩٩٤

١٢- دراسة : أحمد بن ماجد أسد البحار - دار المعارف ١٩٩٥.

١٣- ديوان "مسافات السفر"- المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦.